﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: 5 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لا يَستوي مَن سَعى في الخير ومَن سَعى في الشَّرِّ

لمّا أجمَلت الآيةُ السّابقةُ سعيَ الإنسانِ في قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جاءت هذه الآيةُ ببَيانٍ وتَفصيلِ هذا السَّعي مِن ناحيةِ اختِلافِ الأعمال، والعاقِبةِ المُترتِّبةِ على كلِّ عملٍ مِن الثَّوابِ والعِقاب.

ومِنها لمّا طابَقَ بينَ القَسَمِ والمُقسَمِ عليه، ونبَّهَ بالقَسَمِ والتَّأكيدِ مع ظُهورِ المُقسَمِ عليه على أنَّهُم في أمْنِهم معَ التَّحذيرِ كَمَن يَدَّعي أنَّه لا فرْقَ، وأنَّ مَآلَ الكُلِّ واحدٌ؛ شَرَعَ في بَيانِ تَشتُّتِ المَساعي وبَيانِ الجَزاءِ لها[1].

❁ شرحُ المفرداتِ:

1) ﴿أَعْطَىٰ﴾: (عطو) أصل يدلُّ على أخذٍ ومناولة، ومن ذلك: العَطْوُ، وهو التَّناول باليد، يقال: عطا الشَّيءَ وعطا إليه: تناوله، والمعاطاة: المناولة[2]، والإعطاء: الإنالة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: 29]، وأعطى البعيرُ: انقادَ، وأصلُه: أن يُعطيَ رأسه فلا يتأبَّى[3]، ورجلٌ معطاء: كثيرُ العطاء، والعطاءُ والعطيَّة: اسمٌ لما يُعطى[4]. والمرادُ بالإعطاءِ هنا: البَذل[5].

2) ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾: (وقي) أصلٌ يدلُّ على دفعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيرِه[6]،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 89 - 90.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عطو).
(3) الراغب، المفردات: (عطو).
(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، وابن منظور، لسان العرب: (عطو).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 83.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقي).

ومِنْ ذلكَ: الوِقايةُ، وهي فرْطُ الصّيانةِ[1]، وحفظُ الشَّيءِ ممّا يُؤذيهِ ويضرُّهُ، قالَ ﷺ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [الإنسان: 11][2]، والوِقاءُ: ما وقَيْتَ بهِ شيئًا[3]، والتَّقوى: جعلُ النَّفسِ في وِقايةٍ ممّا يُخافُ، وصارَتْ في عُرْفِ الشَّرعِ حفظَ النَّفسِ عمّا يُؤثمُ، وذلكَ بتركِ المحظورِ[4]، والمرادُ بالاتِّقاء هنا: تجنُّبُ محارمِ اللّه[5].

3) ﴿وَصَدَّقَ﴾: (صدق) أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا وغيرَهُ[6]، ومِنْ ذلكَ: الصِّدقُ، وهو خلافُ الكذبِ[7]، سُمّيَ بذلكَ؛ لقوَّتِهِ في نفسِهِ، ولأنَّ الكذبَ لا قوَّةَ لهُ، فهو باطلٌ[8]، ويُستعمَلُ التَّصديقُ في كلِّ ما فيهِ تحقيقٌ، يقالُ: صدَّقَني فعلُهُ وكتابُهُ، قالَ ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ [البقرة: 89][9]، والمصدِّق: الَّذي يُصدِّقك في حديثكَ، والَّذي يأخذ صدقات الغنم[10]، ويقال للرَّجل الجوادِ والفرسِ الجواد: إنَّه لذو مَصْدَق، أي: صادقُ الحملة[11].

4) ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: (حسن) أصلٌ يدلُّ على ضدِّ القُبحِ[12]، ومن ذلك يقال: رجل حسنٌ، وامرأة حسناء، وحسَّن الشَّيءَ تحسينًا: زيَّنَه[13]، وحسَّن اللّه خلقه، وأحسنَ إلى أخيه، وأحسنَ به[14]، والحَسَنُ: عبارةٌ عن كلِّ مُبهِجٍ مَرغوبٍ فيه، والحَسَنَةُ يُعبَّر بها عن كلِّ ما يُسرُّ من نعمةٍ تَنالُ الإنسانَ في نفسِه وبَدَنِه وأحواله، والسَّيِّئَةُ تُضادُّها. والمُرادُ بالحُسنى: الخَلَفُ من اللّه على الإعطاءِ، أو شهادةُ التَّوحيدِ، أو الجَنَّةُ، أو ما وعَدَ اللّه تعالى به[15].

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (وقي).
(2) الراغب، المفردات: (وقى).
(3) الجوهري، الصحاح: (وقي).
(4) الراغب، المفردات: (وقى).
(5) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 468.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(7) الجوهري، الصحاح: (صدق).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(9) الراغب، المفردات: (صدق)، والسّمين، عمدة الحفاظ: (صدق).
(10) الجوهري، الصحاح: (صدق).
(11) الخليل، العين: (صدق).
(12) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسن).
(13) الرازي، مختار الصحاح: (حسن).
(14) الزمخشري، أساس البلاغة: (حسن).
(15) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 469 - 470.

5) ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: (يسر) أصلٌ يدلُّ على انفتاحِ شيءٍ وخِفَّته، ومن ذلك: اليَسَرات، وهي القوائم الخِفاف[1]، ويقال: فرسٌ حسنُ التَّيسور، أي: حسنُ نقلِ القوائم[2]، واليَسْر: اللّين والانقياد[3]، واليُسْرُ: ضدُّ العُسْرِ، قالَ ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، ويقالُ: تيسَّرَ كذا، واستيسرَ، أي: تسهَّلَ، قالَ تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: 196]، وقالَ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: 20] أي: تسهَّلَ وتهيَّأ، واليسيرُ والميسورُ: السَّهْلُ، ويُطلَقُ اليسيرُ أيضًا على الشَّيءِ القليلِ[4]. والمرادُ بتيسيرِه لليُسرى: إرشادُه لأسباب الخيرِ والصَّلاح، حتَّى يسهُل عليه فِعلُها[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقول تعالى ذِكرُه: فأمّا من بَذَلَ من مالِه، وأنفَقَ في وجوهِ الخير، واجتَنَبَ محارِمَ اللّه، وابتَعَدَ عن كلِّ ما لا يَنبغي، وصدَّقَ بالخَلَفِ من اللّه على إعطائِه ما أعطى من مالِه، أو صدَّقَ بثبوتِ الفَضيلةِ والعملِ الطَّيِّبِ، أو صدَّقَ بموعودِ اللّه؛ فسنُهَيِّئُه للخُلَّةِ اليُسرى، وهي العملُ بما يُرضي اللّه في الدُّنيا؛ ليوجِبَ له به في الآخرةِ الجَنَّةَ[6].

مَن سلكَ سبيلَ الخير فُتحَت له أبـوابُ النَّجاحِ والفلاح

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾:

الفاءُ في قولِه جلَّ من قائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ للتَّفريع[7]، وبيانِ ترتُّب التَّفصيل على الإجمال[8]، وذلك أنَّه لمّا أجمَل مساعيَ

تفصيلُ مَساعي الـنّـاسِ بعد إجمالِها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يسر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (يسر).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (يسر).
(4) الراغب، المفردات: (يسر)، والسّمين، عمدة الحفاظ: (يسر).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 20/ 83.
(6) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 468 - 471.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 381.
(8) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 304.

النّاس في قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ فصَّلها هنا مبيِّنًا أنَّه لا تجوزُ تسويةُ المُحسِن بالمُسيء[1].

ويجوز أن تكون الفاءُ فصيحةً؛ لأنَّها أفصَحَت عن جوابِ شرطٍ مُقدَّر، تقديرُه: إذا عرَفتُم أنَّ سَعْيَكم شتَّى، وأردتُم بيانَها وتفصيلَها لكم، فأقولُ لكم: أمّا من أعطى واتقى[2].

دلالة (أمّا) في ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾:

(أما) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ تُفيدُ الشَّرطَ والتَّفصيل للإجمال في قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، وهي تبيينٌ لأحكام تلك المساعي المشتَّتة[3]، وتقسيمٌ لأصحابها[4].

سرُّ بيان أحوالِ السّاعينَ دون السَّعي:

اختلافُ أحوالِ السّاعينَ يَنتجُ عنه اختلافُ السَّعي

عدَلَ القرآنُ الكريمُ عن تفصيلِ السَّعي مع أنَّهُ المُحتاجُ إلى التَّفصيلِ لإجماله في قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾، ولكنْ جُعلَ التَّفصيلُ ببيانِ السّاعينَ بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ لأنَّ المُهمَّ هو اختلافُ أحوالِ السّاعينَ، ويُلازِمُهم السَّعيُ؛ فإيقاعُهُم في التَّفصيل بحسَبِ مساعيهِم يُساوي إيقاعَ المَساعي في التَّفصيل، وهذا تَفنُّنٌ من أفانينِ الكلامِ الفصيح يَحصُلُ منه معنَيان.

سرُّ حصرِ السّاعينَ في فريقين:

مقامُ التَّرغيب والتَّرهيب يَقتضي ذِكرَ مثالٍ لأهلِ الخير ومثالٍ لأهلِ الشَّرِّ

انحصرَ تفصيلُ ﴿لَشَتَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ الآيات، في فريقين: فريقٍ ميسَّرٍ لليُسرى، وفريقٍ ميسَّرٍ للعُسرى؛ لأنَّ الحالين هما المهمُّ في مقامِ الحثِّ على الخير، والتَّحذيرِ من الشَّرِّ، ويَندرجُ فيهما مختلَفُ الأعمال، كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 89 - 90.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 32/ 64.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 166، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 366.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 490.

أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 6 - 8][1].

ويجوزُ أن يكون تفصيلُ ﴿لَشَتَّىٰ﴾ هو مَن أعطى واتَّقى وصدَّقَ بالحسنى، ومَن بَخِلَ واستغنى وكذَّبَ بالحُسنى، وذلك عددٌ يصحُّ أن يكون بيانًا لشتَّى[2].

دلالة ﴿مَنْ﴾ في ﴿فَأَمَّا مَنْ﴾:

وردت ﴿مَنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ في سياقِ الشَّرط؛ لإفادة العموم، وإن كانتِ الآيةُ - كما ورَدَ في أسبابِ النُّزول - أنَّها في أبي بكرٍ الصِّدّيق ﷺ حينما اشترى بلالًا وأعتقَه، إلّا أنَّ حَمْلَها على العُموم أولى؛ لأنَّ العِبرةَ بعمومِ اللَّفظِ لا بِخُصوصِ السَّبب[3].

أعمالُ الخير مَجلَبةٌ للتَّيسير

نُكتة التَّعبيرِ بالماضي في ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ التَّيسير لليُسرى لا يكونُ إلّا لمَن تحقَّق منه الإعطاءُ والاتِّقاءُ والتَّصديقُ، وتحلَّى بهذه الصِّفات حتَّى كانت بمنزلة الصِّفات الجِبِلِّيَّة التي لا تنفكُّ عنه، وصار العطاءُ عنده سجيَّةً، والتَّخلُّقُ بالأخلاق الحسنة صارت طبعًا لهُ فلا يعرف أخلاقَ السّوء.

التَّيسيرُ لليُسرى لمَن كان راسخًا في أفعال الخير

سرُّ حذفِ المفعول في ﴿أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾:

في قوله جلَّ ذكره: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ إيجازٌ بليغ، وذلك بحذف مفعولَيْ ﴿أَعْطَىٰ﴾، ومفعولِ (اتَّقى)، ومفعولِ (صدَّق) المجرور بـ (على)؛ لأنَّ الغرضَ ذِكرُ هذه الأحداث

المُعطي محلُّ ثناءٍ أيًّا كانت عطيَّته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 381.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 381.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382.

دون متعلِّقاتها[1]، فالمَقصودُ الثَّناءُ على المُعطي دون تعرُّضٍ للمُعطَى والعطيَّة[2]. وأيضًا: فعلُ الإعطاء إذا أُريدَ به إعطاءُ المالِ بدون عِوَض؛ يُنزَّل منزلةَ اللّازم؛ لاشتهار استعمالهِ في إعطاء المال، ولذلك يُسمَّى المالُ الموهوبُ عطاءً، والمتَّقَى معلوم، وهو الله تعالى[3].

وممّا يُذكر في دلالةِ الحذف؛ إفادةُ العموم ليعمَّ المفعول الجنس الذي هو له من الأفعال المذكورة؛ فعطاؤه عامٌّ، واتَّقى كلَّ المحارم.

سرُّ تخصيصِ الإعطاء بالذِّكر مع دلالةِ الاتِّقاء عليه:

الإعطاءُ والتَّقوى والتَّصديقُ بالحُسنى شعارُ المسلمين

خُصَّ الإعطاءُ بالذِّكر في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ مع شُمول (اتَّقى) لمفاده؛ لتحريضِ المسلمين على الإعطاء، فالإعطاءُ والتَّقوى شِعارُ المسلمين مع التَّصديق بالحُسنى، وضدُّ الثَّلاثة من شِعار المشركين[4].

وممّا يُذكر في تخصيصِ الإعطاءِ بالذِّكر بيانُ أنَّ كثيرًا من النّاس يرسبُ في امتحانِ المالِ لشدَّةِ الحِرص عليه، ولأنَّه شقيقُ الرّوح؛ فخَصَّهُ بالذِّكر لمزيدِ الاهتمام، يُؤكِّد ذلك أنَّ بعضَ العُلَماء خصَّه بإعطاءِ المال؛ لكونِهِ ظاهرَ الآية، ولوُقوعِهِ في مُقابلةِ البُخل.

نُكتةُ تقديمِ الإعطاء على الاتِّقاء:

الإعطاءُ بابٌ لكلِّ صفاتِ الخير

قُدِّمَ الإعطاءُ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ على الاتِّقاء؛ لأنَّه بابُ كلِّ خير؛ فمَن جادَ بالمالِ طابَت نفسُهُ للطّاعةِ والالتزام، ولأنَّ الإعطاءَ فيه إشارةٌ إلى آداءِ حقوقِ الله تعالى بامتثالِ المأموراتِ واجتنابِ المنهيّات؛ أمّا الاتِّقاءُ فهو إشارةٌ إلى ما يشملُ سائرَ العباداتِ؛ من فعلِ الحسناتِ وتركِ السيِّئاتِ مطلقًا، والتَّصديقُ بالحُسنى إشارةٌ إلى الإيمانِ بالتَّوحيدِ أو بما يعمُّه وغيرَه

(1) السمين، الدر المصون: 11/ 29.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 493.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 386.

ممّا يجبُ الإيمانُ به، وذكرَ البعضُ أنَّ تقديمَ الإعطاءِ بناءً على سببِ النُّزول؛ إذْ نزلتِ الآيةُ في حقِّ أبي بكر رضي الله عنه[1].

بلاغةُ التَّعبير بالاتِّقاء:

عُبِّر بالاتِّقاء في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾؛ لدلالتِه على كمالِ الاحترازِ والتَّوقّي، فيُفيدُ كمالَ الحِرصِ على تجنُّبِ كلِّ ما يُسبِّبُ غضبَ الباري ﷻ، وذلكَ من كمالِ الإيمانِ والعقلِ والفِطْنة.

اجتنابُ غضبِ اللهِ كمالُ الإيمانِ والعقلِ والفِطنة

سرُّ تأخيرِ التَّصديقِ بالحُسنى عن الاتِّقاء:

لمّا كان الإيمانُ أمرًا مُعتنًى به في نفسه؛ أُخِّرَ عن الاتِّقاء في قوله تعالى شأنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ ليكونَ ذِكرُه بعدَهُ من بابِ ذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ، مع ما في ذلك من رعايةِ الفاصلة[2].

الطّاعةُ والاتِّقاءُ يَدلّان على التَّوحيد الَّذي هو شرطُ صِحَّتهما

وممّا يُذكَر في سرِّ تأخيرِ التَّصديقِ بالحُسنى عن الاتِّقاءِ مع أنَّ الأصلَ فيه التَّقديمُ؛ لأنَّه يتعلَّقُ بالتَّوحيد؛ لأنَّ الطّاعةَ والاتِّقاءَ يدلّان على التَّوحيدِ، وبالنَّظرِ إلى ذلك يستحقّان التَّقديمَ، وإنْ كان التَّوحيدُ مقدَّمًا عليهما في الوجودِ، وشرطًا لصِحَّتهما[3].

بلاغةُ التَّعبير بالتَّصديق:

المؤمنُ راغبٌ في تحصيلِ ما هو سببُ نجاتِهِ في الآخرة

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بالتَّصديقِ في قولِه ﷻ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ لأنَّ التَّصديقَ يدلُّ على الاعترافِ والاعتقادِ بالحُسنى مع تعدُّدِ المرادِ بها؛ فهو المِلَّةُ الحُسنى وهي ملَّةُ الإسلام، أو المَثوبةُ الحُسنى وهي الجنَّةُ، أو الكلمةُ الحُسنى، وهي لا إله إلا الله. وعلى الوجوهِ كلِّها فالتَّصديقُ بها الاعترافُ بوقوعِها، ويُكنى به عن الرَّغبةِ في تحصيلِها[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 367.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 367.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 20/ 305.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382 - 383.

وفي التَّعبيرِ بالتَّصديقِ إشارةٌ إلى شدَّةِ اليقينِ في الاعترافِ بهذه المعاني السّابقةِ دون شكٍّ أو تردُّدٍ كما وقعَ من المنافقين.

دلالةُ الباء في ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

التَّـصـديـقُ متعلِّقٌ بالإسلام والجنَّة

الباءُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ للتَّعدية، فتفيدُ تعلُّقَ التَّصديقِ بالحُسنى الَّتي هي ملَّةُ الإسلام، أو الجنَّة، أو كلمة التَّوحيد[1]؛ فلا ينفكُّ تصديقُهُ بهذه الأشياء؛ فأعمالُهُ متعلِّقةٌ في صُدورِها بمبدأ الإسلام والجزاءِ المترتِّب عليه.

نكتةُ حذفِ الموصوفِ في ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

إفـادةُ العُمومِ فـي التَّـصديقِ بـالمَـطـالـب الحسَنة

الحُسنَى في قوله ﷻ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تأنيثُ الأحسَن، فهي بالأصالةِ صفةٌ لموصوفٍ مُقدَّرٍ لم يُعيَّن؛ لذلك يحتملُ أمورًا كثيرةً مثل: الملَّة الحُسنى وهي ملَّةُ الإسلام، أو المثوبة الحُسنى وهي الجنَّة، أو الكلمةُ الحسنى، وهي لا إله إلا الله[2]، وتأنيثُها مُشعِرٌ بأنَّ موصوفَها المقدَّرَ يُعتبرُ مؤنَّثَ اللَّفظ.

بلاغةُ التَّعبير بالحُسنى ودلالةُ (أل) فيها:

العاقلُ لا يتركُ الأحسَنَ - الَّذي هو سببُ النَّجاح - إلى غيره

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالحُسنى دون غيرها من الأوصافِ في قوله ﷻ: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾؛ لأنَّه يُطلق على معانٍ كثيرةٍ؛ منها ملَّةُ الإسلام، أو الجنَّة، أو كلمةُ التَّوحيد، أو الخَلَفُ من الله تعالى على العطاء؛ والحُسنُ فيها بالغٌ وظاهر، والعاقلُ لا يتركُ الأحسَنَ الَّذي هو سببُ النَّجاحِ إلى غيره.

يؤكِّدُ هذا أنَّ (أل) في الحسُنى للعَهد؛ إذِ المُرادُ بها خصلةٌ معهودةٌ معروفةٌ، وهي ملَّةُ الإسلام، أو الجنَّة، أو كلمةُ التَّوحيد، أو الخَلَفُ من الله تعالى على العطاء.

وهذه المعاني متقاربةٌ ولا تعارُضَ بينها؛ لأنَّها في خُلاصَتها تعودُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 762، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 650.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 382 - 383.

إلى معنيَين: إمّا: صدقٌ بالخَلَفِ من الله تعالى على نَفقتِه، وسياقُ الآيةِ في الإنفاقِ يؤكِّدُ ذلك، وإمّا: صدقٌ بالجنَّةِ، ويَشهَدُ له قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26]؛ فالحُسنى هي الجنَّة، والزّيادةُ النَّظَرُ إلى وجهِ الله الكريم.

سرُّ الاقتصار على هذه الطّاعات دون غيرها:

جمعُها لمراتبِ الدّين

اقتُصِر على هذه الطّاعاتِ الثَّلاثِ دونَ غيرِها في قولِه تعالى شأنه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾؛ للتَّنبيهِ على أهمّيَّتها؛ إذ انتَظَمَت أمورَ الدّين، وجمعَت العِلْمَ والعمَلَ؛ فالدّينُ يَدورُ على ثلاثِ قواعدَ: فعلٌ لمَأمور، وتركٌ لمَحذور، وتصديقٌ لخبَر؛ فالإعطاءُ فِعلُ المَأمورِ، والتَّقوى تركُ المحظور، والتَّصديقُ بالحُسنى تصديقُ الخبر.

دلالة الفاء في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾:

التَّيسيرُ مُترتِّبٌ على الخِصال السّابقة

الفاءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ واقعةٌ في جواب (أمّا)؛ لتضَمُّنها معنى الشَّرط، وتدلُّ على التَّرتيب؛ إذ جَعلتِ التَّيسيرَ مُترتِّبًا على فعلِ هذه الطّاعات السّابقة؛ فهي سببُ دخولِ الجنَّة، ونيلِ المكانةِ الرَّفيعةِ عندَ الله ﷻ.

دلالةُ السّين في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾:

وعدُ الله بالتَّيسير آتٍ لا محالة

دلَّ دخولُ السّين في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ على تحقُّق الوعد وثبوته؛ لأنَّه من الله قطعٌ ويقينٌ على سبيل التَّرفيق والتَّلطيف، ولأنَّ الثَّواب لمّا كان أكثرُه واقعًا في الآخرة، وكان ذلك ممّا لم يأتِ وقتُه، ولا يقفُ على وقته إلّا الله؛ دخلَه تراخٍ، فأُدخلت السّين؛ لأنَّها حرفُ التَّراخي؛ ليدلَّ بذلك على أنَّ الوعدَ آجلٌ غيرُ حاضر[1].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 185.

نكتةُ صيغةِ المضارع في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾:

جيءَ بصيغة المضارعِ في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ للدَّلالة على التَّدريج، والمعنى: سيَظهر تدريجُنا إيّاه في عمل الخير، حتَّى يُختمَ له بخاتمةٍ حسنةٍ قد كانت في عِلم الله أوَّلًا[1].

بلاغة إسناد التَّيسير إلى نون العظمة:

تيسيرُ الطّاعة الشّاقّة على النّفس عظيمُ الشّأن

إسنادُ التَّيسير إلى نون العظمة في قول الحقِّ ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ لتعظيم التَّيسير، والإشارةِ إلى صُعوبةِ الطّاعةِ على النَّفس وإن كانت في غايةِ اليُسر في نفسها؛ لأنَّها في غاية الثِّقل على النَّفس، والمعنى: فنُهَيِّئُه بما لنا من العظمةِ بوَعدٍ لا خلفَ فيه[2].

بلاغة التَّعبير بالتَّيسير:

المؤمنون الصّادقون موفَّقون للطّاعات والجنّات

من فسَّر اليُسرى في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ بالجنَّة فسَّر التَّيسير لليُسرى بإدخال الله تعالى إيّاهم في الجنَّة بسهولةٍ وإكرام، وأمّا من فسَّر اليُسرى بأعمال الخير فالتَّيسير لها هو تسهيلُها على مَن أراد، حتَّى لا يَعتريَه من التَّثاقُلِ ما يَعتري المُرائينَ والمنافقينَ من الكسَل، فكان التَّيسيرُ هو التَّنشيط[3]، والمُرادُ من التَّنشيطِ تكميلُ النَّفس إلى أن تبلغَ المقامَ الذي تجدُ فيه سعادتها بتهيئَتِها لأداءِ الطّاعات.

بلاغةُ حذفِ الموصوفِ في ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾:

تيسيرُ أهلِ الصَّلاح لطريق الجنَّة

في قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إيجازٌ بحذفِ الموصوف. واكتفى بذِكر الصِّفة، ولم يذكُر الموصوفَ لإفادة العموم، ولو أرادَ تقييدَ المعنى لقال: فسنُيَسِّره للخصلة اليسرى وما في

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 491.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 90.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 184.

معناها من اليُسر والرّاحة المقتضيةِ للعمل بما يُرضيه ﷻ؛ ليصلَ بذلكَ إلى الحياةِ الطيِّبةِ ودُخولِ الجنَّة[1].

بلاغةُ التَّعبير باليُسرى:

أهـلُ الإيـمـانِ مُيَسَّرون للرّاحة والنَّعيمِ والمكانةِ العالية

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ باليُسرى في قوله جلَّ ذِكره: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾؛ لأنَّ هذا اللَّفظ يحتملُ دلالاتٍ كثيرةً تتدرجُ في معاني النَّفعِ الَّذي لا يشقُّ على صاحبه، أي: الملائم[2]؛ لأنَّها تدلُّ على خِلاف المشقَّة، والمعنى: نُيسِّرُه للخصلة الَّتي تُؤدي إلى يُسْرٍ وراحةٍ كدُخول الجنَّة ومباديه، ووصفُها باليُسرى: إمّا على الاستعارةِ المُصرّحة، أو المَجاز المُرسل، أو التَّجوُّز في الإسناد[3]. ويحتملُ أن يُراد باليُسرى المكانة.

دلالةُ تعريف اليُسرى:

الرّاحة والسُّرور مآلُ أهل الطّاعة

اليُسرى في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ هي ما لا مشقَّة فيه، والمرادُ بها حالةُ النَّعيم، أو المكانة، أو الجنَّة، وتعريفُها للجنس؛ إذْ يُطلق على كلِّ ما هو الأيسَرُ من أعمال الدُّنيا أو الآخرة أو التَّعريف للعهد[4]، والمُراد الجنة.

عِلَّةُ تأنيثِ اليُسرى:

جاء التَّعبيرُ بالتَّأنيث في لفظِ اليُسرى دون المُذكَّر (اليسر)؛ لأنَّ المُرادَ منها جماعةُ الأعمال، فوجهُ التَّأنيثِ ظاهِر، وإنْ كانَ المُرادُ عمَلًا واحدًا رجعَ التَّأنيثُ إلى الخُلَّة أو الفَعْلة. ويحتملُ أن يكونَ مرجعُ التَّأنيث إلى الطَّريقة، فكأنَّه قال: للطَّريقةِ اليُسرى[5].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 90 - 91.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 367، والقاسمي، محاسن التأويل: 9/ 486.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 383.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 31/ 183 - 184.

بلاغةُ الإظهارِ موضعَ الإضمارِ في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:

كلُّ عملِ خيرٍ فهو بتوفيق الله وتيسيره

المتيسِّر في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ هو تيسيرُ الدَّوامِ على الإعطاء والاتِّقاء والتَّصديق ونحوِ ذلك من أعمال الخير، واليُسرى صفةٌ للأعمال، وذلك من الإظهار في مقامِ الإضمار، والأصل: مُسْتيسِرٌ لهُ أعمالُه، وعُدِلَ عن الإضمار إلى وصفِ اليُسرى؛ للثَّناء على تلكَ الأعمال بأنَّها ميسَّرةٌ من الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: 8][1].

بلاغة الجناس في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:

حثُّ المطيعِ على الاستمرار في الطّاعة

في قوله ﷻ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ جناسُ اشتقاق، ومن لطائفه: تناغُمُ ألفاظ الآية، وتكرارُ مادَّةِ التَّيسير عند تلاوة الآية، وفي ذلك مزيدُ ترغيبٍ لأهلِ الإيمان والطّاعة؛ ليستمرّوا على ما هُم عليه من الطّاعاتِ وأفعالِ الخير.

براعةُ القلب في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾:

تهيئةُ أهلِ الإيمان لدوامِ العملِ الصّالحِ واستمراره

ترتيبُ النَّظم في قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ واردٌ على عكس المتبادر؛ إذ جُعل ضميرُ الغيبة في ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ العائدُ إلى مَن أعطى واتَّقى هو الميسَّرَ، أي: الَّذي صارَ الفعلُ سهلُ الحصول حاصلًا له، وإذْ وقعَ المجرورُ باللّام (اليُسرى)، وهو لا ينتفع بسهولة مَن أعطى؛ تعيَّن تأويلُ نظمِ الآية بإحدى طريقتين:

الأولى: إبقاءُ فعلِ (نيسِّر) على حقيقته، وجعلُ الكلام جاريًا على خِلاف مقتضى الظّاهر بطريقِ القلب، بأن يكون أصلُ الكلام: فسنيسِّر اليُسرى له، ولا بدَّ من مقتضٍ للقلب، فيُصارُ إلى أنَّ المقتضيَ إفادةُ المبالغة في هذا التَّيسير، حتَّى جُعلَ الميسَّر ميسَّرًا له، والميسَّرُ له ميسَّرًا. **والثّانية:** أن يكون التَّيسيرُ مستعمَلًا مجازًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 386.

مرسلًا في التَّهيئة والإعداد بعلاقة اللُّزوم بين إعداد الشَّيء للشَّيء وتيسُّره له، وتكون اللّام من قوله: ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ لامَ التَّعليل، أي: نُيسِّره لأجل اليُسرى، فالمُرادُ باليُسرى الجنة، على أن يكون الوصفُ صار علمًا بالغلَبة على الجنَّة، والتَّهيئة لا تكون لذات الجنَّة، فتعيَّنَ تقديرُ مضافٍ بعد اللّام يُناسب التَّيسيرَ، فيُقدَّر: لدخول اليُسرى، أي: سنعجِّل به ذلك، والمعنى: سنَجعلُ دخولَ هذه الجنَّةِ سريعًا.

ويجوزُ أن يكون معنى الآية: أن يُجعلَ التَّيسيرُ على حقيقته، وتُجعلَ اليُسرى وصفًا، أي: الحالة اليُسرى، وليس في التَّركيب قلبٌ، والتَّيسيرُ بمعنى الدَّوام على العمل[1].

بيانُ المتشابه اللَّفظيِّ مع سورةِ الأعلى:

تشابَه قولُه تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ في هذه السّورة مع قوله تعالى في سورة الأعلى ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: 8]، والنّاظرُ في سياقِ الآيتين يجدُ أنَّ الخطابَ مختلفٌ؛ ففي سورةِ الأعلى الخطابُ فيها لرسولِ الله ﷺ، وأمورُه كلُّها ميسَّرةٌ في الحالِ والاستقبالِ دون تقييدٍ امتنانًا وتكريمًا له ﷺ.

أمورُ الرَّسول ﷺ ميسَّرةٌ امتنانًا وتشريفًا

أمّا في سورة اللَّيل فالخطابُ فيها على العموم؛ إذ جاءت بعدَ قولِه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ فالتَّيسيرُ مرتبطٌ بالعطاء والاتِّقاءِ والتَّصديق بالحُسنى[2].

سبيلُ التَّيسير والتَّسهيل العطاء، والاتِّقاء

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإعطاء والإيتاء:

الإعطاءُ فيه دليلُ التَّملُّكِ دونَ الإيتاءِ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]؛ فإنَّ لهُ منعَ مَنْ شاءَ منهُ كالمالكِ

الإيتاءُ أقوَى من الإعطاء وأعَمُّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 384 - 385.

(2) فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص 371.

للمِلْك، وأمّا القرآنُ فحيثُ إنَّ أمَّتَهُ مُشارِكونَ لهُ في فوائدِهِ قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: 87][1]. والإيتاءُ أقوَى مِنَ الإعطاءِ؛ لأنَّ الإيتاءَ يُستعمَلُ في الأشياءِ العظيمةِ، كالقرآنِ، والحكمةِ، والمُلْكِ[2]. والإيتاءُ فيهِ غالبًا معنى الوجوبِ والإلزامِ، وأمّا الإعطاءُ ففيهِ معنى التَّفضُّلِ والإكرامِ[3]. والإعطاءُ يكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ، وأمّا الإيتاءُ فيكونُ في الأشياءِ المادّيَّةِ والمعنويَّةِ[4]. وقد عُبِّر بالإعطاء هنا؛ لأنَّ المُرادَ أنَّهم يُعطونَ غيرَهم من أموالهم، ويُملِّكونه إيّاه.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.
(2) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 248.
(3) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 248 - 249.
(4) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 251.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والستون،
سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 67 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-69-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 67 : المجلد السابع والستون، سورة الأعْلى من الآية 06 إلى سورة العَلَق.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-69-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4934554 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"